كربلاء كما شاهدتُ

كربلاء
كما شاهدتُ

محمد صادق محمد
(الكرباسي)

بيت العلم للنابهين
بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

المقدمة

كربلاء تلك المدينة التي أحببتها فاحتضنتني، وواسيتها فغذتني، فكان الحب بيني وبينها متبادلاً، وكنت أشعر أنني جزء منها وهي جزء منّي، فكنت ولازلت أحنُّ إلى تلك النخيل والأشجار وإلى تلك الأبواب والجدران التي كانت تضم الأقرباء والأصدقاء والزملاء والأدباء والعلماء والشعراء وأهل الصفاء والولاء، وإلى تلك الحوانيت والطرقات، حيث كانت تسلّم عليَّ وأسلِّم عليها ولو بالغمز واللمز.

خُلقت على أرضها بجوار مرقد سيدي ومولاي أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل

العباس عليه السلام روحي لهما الفداء، وجُبلت من تربتها ومائها، وتنشّقتُ الحرية والمعرفة والأدب والأخلاق عبر هوائها، فكانت سخيّة كريمة جادت بكل ما لديها من الأمور المعنوية والمادية، فهي أمّي الحنونة وأبي الحريص عليّ، وهي الصديقة التي لا أستغني عنها في الشدائد والمحن، ولازلت أحمل معي تربتها أسجد عليها لله شاكراً، تمنحني الطمأنينة متى ما حدث لي حادث، فإن كنت في عُسرٍ التجأت إلى الثاوين فيها حُسين وعباس وشهداء كرام ليشفعوا لي إلى خالقي ليرفع عنّي المكاره والمحن.

كربلاء قبلتي وبَوصَلتي التي ترشدني نحو الصواب وإلى ما أصبو إليه، كربلاء لازالت وفيّة لأبنائها وإن بخلوا عليها.

حينما أتحدث عن هذه المدينة أتناول ما عايشته

مما لا يمكن التعميم، ولكنه يعد انطباعا عاما، حيث كنت أعيشه وأعايشه، وهذا لا يعني أيضاً بأن هذه العادات والطباع بقيت على ما كانت عليه أيام سُكناي فيها، إذ ربما تغيرت بعض الشيء بسبب القهر والظلم اللّذين مورسا بحقها وبحق أهلها وساكنيها خلال خمسة وثلاثين عاماً غبت عنها، ولربما غابت الكثير من المعطيات التي كنت أعايشها مع غيابي عنها.

كربلاء في سطور

الاسم الرسمي: كربلاء.

الأسماء الثانوية: الحائر، الطف، الغاضرية، وهناك أسماء أخرى غير معروفة.

المساحة في سنة ١٣٦٦هـ: كيلومتر واحد من الشمال إلى الجنوب، وحوالى **٩٠٠** متر من الشرق إلى الغرب.

المساحة في سنة ١٣٩١هـ: **٢,٨** كيلومتر من الشمال إلى الجنوب على وجه التقريب، و**١,٣٠٠** كيلومتر من الشرق إلى الغرب تقريباً[1] + **٠,٥×٦,٥** كيلومتر من المخيم إلى الحُر[2].

---

(١) ولا يخفى أن البساتين والبيوت في كثير من المناطق متداخلة.

(٢) إنما حدد النفوس وغيرها بتاريخين حيث إن الاول سنة ولادته فيها والثانية سنة هجرته منها.

النفوس في سنة ١٣٦٦هـ: حوالى مائة ألف نسمة.

النفوس في سنة ١٣٩١هـ: حوالى مائتي ألف نسمة.

الطقس في الربيع: يتراوح عادة ما بين **١٧ ـ ٢٥** درجة مئوية.

الطقس في الصيف: يتراوح عادة ما بين **٣٢ ـ ٥٠** درجة مئوية.

الطقس في الخريف: يتراوح عادة ما بين **١٥ ـ ٢٣** درجة مئوية.

الطقس في الشتاء: يتراوح ما بين **٧,٥ ـ ١٠** درجة مئوية[١].

---

(١) ولا يخفى أن درجة الحرارة ارتفعت في السنوات الأخيرة عما كانت عليه في السنوات الأولى السابقة، سواء في الصيف أو في الشتاء.

سطح المدينة: يرتفع عن سطح البحر **٢١** متراً تقريباً، وتقع على خط طول **٤٤** درجة وعرض **٣٢** درجة تقريباً.

الحدود في سنة ١٣٦٦هـ: شمالاً وغرباً نهر الحسينية، وجنوباً نهاية محلة العباسية (الجديدة)، وشرقاً شارع باب الخان.

المنافذ في سنة ١٣٦٦هـ: إلى بغداد شمالاً، وإلى الجَرْيَةِ شرقاً، والهندية شرقاً، وإلى النجف جنوباً، وإلى الرزازة غرباً.

الحدود في سنة ١٣٩١هـ: شمالاً حي العبّاس وحي الصادق ونهر الحسينية، جنوباً حي الإسكان وحي الحسين، شرقاً شارع المحيط، وغرباً نهر الحسينية من جهة ومرقد الحر الرياحي من جهة أخرى.

المنافد في سنة ١٣٩١هـ: لم تتغير عن سنة ١٣٦٦هـ.

حدود مدينة كربلاء التقريبية
في عام ١٣٦٦هـ

- من جهة الغرب، كان السور هو نهاية المدينة والذي غربه كان يقع النهر الحسيني الممتد جنوباً والمسمى بشارع الشهداء حالياً (شارع السور قديماً)، ويصل إلى مغتسل المخيم جنوباً والبوبيّات شمالاً.

- من جهة الشرق، كان شارع باب الخان هو حدّ المدينة، ويبدأ جنوباً من حسينية البُهرة (فيض حسيني) ليلتقي مع امتداد شارع الوزون حالياً (شارع السكلاّت قديماً)، والذي ينتهي عنده شارع الإمام علي عليه السلام.

• من جهة الشمال، يمتد من البوبيّات شارع الشهداء (شارع السور قديماً) وينعرج قليلا إلى جهة الشمال ليصل إلى شارع الوزون (السكلاّت قديماً) عند حمام سيد سعيد الشروفي، ويمتد إلى أن يصل إلى شارع باب الخان شرقاً.

• من جهة الجنوب الغربي، نهاية المدينة كانت بعد مرقد ابن فهد الحلي ونهاية المحلة الجديدة (العباسية) إلى أن يصل إلى شارع العبّاس ليدخل فيه شارع الإمام السجاد حالياً (سوق النجارين قديماً) ويتصل بامتداد شارع باب الخان شرقاً.

ولا يخفى أن السراي القديم كان على حدود المدينة في الجنوب الشرقي، كما أن المستشفى الحسيني كان خارج المدينة جنوباً، ومن بعده محطة القطار والمقبرة القديمة.

والمخيم الحسيني كان على الحدود الجنوبية الغربية. أما مغتسل المخيم فكان على الحدود الغربية والنهر الحسيني الممتد من الشمال إلى الجنوب خارج الحدود (بعد السور) غرباً ومقام الإمام المهدي عليه السلام خارج الحدود جنوباً.

ومما تجدر الاشارة إليه أن الجهات الأربع كانت محاطة بالبساتين وتنتهي البيوت بها، وكانت البساتين من جهة الجنوب أقلّ منها من الجهات الثلاث، ولا يخفى أن النهر الحسيني كان يفصل بين البيوت وبينها من جهة الشمال والغرب.

كانت محلاتها ست: باب النجف وهي وسط المدينة، وباب العلوة (باب بغداد) وتقع شمال كربلاء، وباب الخان وتقع شرق العتبة العباسية، وباب الطاق والتي تقع غرب العتبة الحسينية، وباب

السلالمة وتقع شمال العتبة الحسينية، والمخيّم وتقع جنوب غربي العتبة الحسينية، والجديدة (العباسية) وتقع جنوب المدينة.

حدود مدينة كربلاء التقريبية
في عام ١٣٩١هـ

• من جهة الشمال الشرقي، كانت تنتهي بنهاية حي العباس، وفي الشمال الوسط بحيّ الصادق (عند مقام الإمام الصادق)، وفي الشمال الغربي عند نهر الحسينية الممتد من الشرق إلى الغرب.

• من جهة الغرب، بقيت على حالها، حيث إن المدينة تنتهي عند نهر الحسينية الممتد من الشمال إلى الجنوب عند مغتسل المخيم والذي يُطلق عليه شارع الشهداء حالياً (شارع السور قديماً)، ولكن من الجهة الغربية الجنوبية فقد توسعت المدينة حتى بلغت مرقد الحُر الرياحي، وضمّت أكثر الأحياء المستحدثة.

• ومن جهة الغرب، فقد توسعت المدينة إلى نهاية حي الحسين والملعب، وبالتحديد عند الجهة الجنوبية الغربية، وامتدت المدينة من جهة الجنوب أيضاً نحو الشرق بحيث أصبح المستشفى القديم ومحطة القطار ضمن المدينة.

• وعند الجهة الجنوبية الشرقية فكانت تنتهي بحيّ الإسكان، وقد دخل السراي القديم ضمن المدينة، ومن جهة الشرق فإن نهايتها كانت ما بعد شارع المحيط.

• وقد اتّسعت كربلاء من الشمال الشرقي والجنوب الغربي، ومن الشرق على طول الجهة، ومن الشمال قليلاً، ومن الجنوب قليلاً، حتى أصبحت أحياؤها ستة وعشرين حيّاً، أي بإضافة تسعة عشر حيّاً.

مجتمعٌ مُحافِظ

كانت كربلاء في العهد الذي عشناه وبالأخص قبل الأخير مجتمعاً محافظاً بكل ما في الكلمة من معنى، من حيث العقيدة والعادات والتقاليد، فالنساء محجبات، وليس في المدينة سافرات أو متبرجات، وكانت العباءة السوداء تلف جسم الأنثى من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، ومنهن مَن كانت تلبس المقنعة وتتغشى بجانب من عباءتها، أما وجهها فلا يظهر منه إلا عينٌ واحدة أو ما زاد على ذلك بقليل، أو تلبس النقاب (البوشيّة) الذي كانت تقنع به فَمَها ووجهها، وهو عبارة عن قماش أسود مشبّك بشبكات صغيرة بحيث يمكنها رؤية طريقها، وقلما تجد النساء في الطرقات إلا عند

الحاجة، حيث كان الرجل في الغالب يقوم بوظائف العائلة خارج البيت، وكانت الدراسة تتم في الملالي ثم المدارس، وهي غير مختلطة، والرجال كانوا ملتحين بمقدار ما يحدده الواجب، وقلما نجد مَن هو حليق اللحية، ولم تكن هناك محلات لحلاقة اللحى، لكنها برزت إلى الوجود بعد ثورة ١٤ تموز من سنة ١٩٥٨م وبشكل محدود.

الأغاني لم تكن متداولة بشكل عام وعلني، والتلفاز لم يكن مستخدماً فيها، لأن المحطة في بغداد حينما أُنشئتْ كان مدى ترددها لا يكاد يغطي مساحة بغداد، ولكن بعد ثورة ١٤ تموز بدأ البث يصل إلى كربلاء، فأخذت المقاهي تستخدمه.

وأما الربا فلم يكن معمولاً به، وقد عُرف أحدهم في الفترات الأخيرة فقاطعه الناس إلى أن اضطر للانتقال إلى بغداد، إذ إن بغداد كانت ملجأ

لمن يريد التحرر من التعاليم الدينية أو التقاليد المحافظة.

وأما القمار فلم يكن في العلن، ولمّا ظَهَرَ استخدم في المقاهي على أطراف المدينة، والغالب لم يكن بالعوض، وآلته كانت منحصرة بالدومنة.

وأما المساجد فقد كانت عامرة بالمصلين، والحَرَمان بالزائرين، حيث كان غالب الناس من أصحاب المحلات يزورون كل يوم الحرمين الحسيني والعباسي وبالأخص أصحاب المحلات القريبة من الحرمين، وأما مَن كان بعيداً فيزورهما في ليالي الجمعة ونهارها.

وكان السلام فاشياً بين الناس، وعيادة المريض سارية، وكانوا يهرعون إلى تشييع الجنازة، ومجالس الترحيم عامرة.

اللغـة

كان الكربلائي وبالأخص الأصيل الذي جذوره من هذه المدينة والذي يُعد من عوائلها وبيوتاتها يفضل أن يتكلم بأكثر من لغة، فاللغة الاجتماعية السائدة كانت اللغة العربية بلا خلاف، فكثير من العوائل كانت لغة البيت عندهم هي اللغة الفارسية باللهجة الكربلائية والتي بالطبع تختلف عن اللهجة الإيرانية، وحتى العرب الأقحاح آنذاك كانوا يعتبرون اللغة الفارسية لغة ناعمة يستخدمونها في مواقع النعومة، وربما الغزل أيضاً ولو باستخدام بعض مفرداتها، بينما بعض المدن المجاورة كالنجف الأشرف مثلا كان الفُرس المقيمون فيها يلتزمون التحدث باللغة العربية وباللهجة المحلية،

ولعل ذلك ناتج عن كثرة ارتباط العوائل الكربلائية بالإيرانيين القادمين لزيارة مرقد أبي عبد الله عليه السلام وكثرة المقيمين منهم بجواره، وهذا يذكرني بلبنان وبالأخص أهالي بيروت الذين كانوا يفضلون استخدام اللغة الفرنسية كلغة ثانية، وكانت اللغة الفرنسية لغة الرقَّة، حيث كانوا يستخدمون مفردات منها ضمن محادثاتهم كقولهم مرسي (شُكرا) وپردون (عفوا)، والكربلائيون كثيراً ما كانوا يستخدمون الفارسية في دورهم في مواطن الغزل والحُبِّ.

اللهجـة

تتميز اللهجة الكربلائية عن اللهجة النجفية والبغدادية في كثير من المواقع، مما يمكن رصد ذلك في كلماتهم بالإضافة إلى استخدام الحروف بشكل أكثر لطافةً من النجف وأقل طيبةً من البغداديين، ولكل من هذه المدن مفرداتها الخاصة، كما هو الحال لأهل الموصل شمالاً وأهل البصرة جنوباً، فعلى سبيل المثال أهل النجف يقولون «چا شلون» وأهل كربلاء يقولون «لَعَد شلون» وفي مثال آخر فإنّ أهل بغداد يقولون «هيّاته» وأهل كربلاء يقولون «هاذَ».

الاكتفاء الذاتي

هذه المدينة ربما كغيرها من المدن لم تكن بحاجة إلى الدول الأخرى وربما إلى المدن الأخرى، فكانت معتمدةً في زراعتها وصناعتها البدائية وحاجاتها بشكل تام على نفسها، ففي كل بيت أعمال يدوية تكفي حاجات المدينة، وفي كل زقاق أجهزة بسيطة وبدائية لصناعة النسيج تلبّي حاجاتهم، ومواد البناء محلّية الصنع، وإذا ما احتاجوا إلى أشياء بسيطة جداً فهي تعادل ما تصدره هذه المدينة من منتجاتها الزراعية لخصوبة أرضها، وما تستورده قليل جداً بالنسبة إلى ذلك العهد، وربما كان للخشب والحديد مجالهما، وحتى الأول فكان لجذع النَّخل والقصب دورٌ كبير قبل استيراد

الحديد والخشب بشكل كبير، حتى الخشب فقسم منه كان محلّياً، والآخر كان يؤتى به من شمال العراق، وعلى أي حال فالاكتفاء الذاتي كان ملحوظاً، وإذا ما استورد شيءٌ كان زيادةً في الرَّفاه وليس لسدّ الحاجة، وأول ما وصل التيار الكهربائي إلى هذا البلد بدأ استيراد ما يعتمد عليه هذا الواردُ الجديدُ والمارد الحنيد يأخذَ دَوْرَهُ الكبيرَ في الحاجة إلى الخارج.

الحركة الاقتصادية

كان السوق الكربلائي ينحصر بشكل عام ما بين الحرمين، حيث السوق الكبير والصغير ومتفرعاتهما بالإضافة إلى المحلات المحيطة بالحرمين الشريفين، وبما أن المدينة لها مركزيتها من حيث إنها مدينة مقدسة ومهوى ملايين الزائرين من خارج العراق وداخله، ومناسباتها الأسبوعية تكمن بيومي الخميس والجمعة، مضافين إلى المناسبات الدينية والزيارات الموسمية التي قد تبلغ عشرين مناسبة سنوياً، فإنَّ حركة السوق كانت رائجة، والمنتوجات المحلية كانت مطلوبة، وتباع من خلال هذه الأسواق، وإلى جانب ذلك فإن الأعمال اليدوية كانت قائمة على قدم وساق، ولم أجد بيتاً

وإن كان من أهل الثراء أو من الأعيان والعلماء إلا وأعمال النسيج والخياطة وصنع الترب والسبح والمهافيف والحياكة وما إلى ذلك قائمة فيه، وربما اختلفت صورتها من بيت إلى آخر بحيث في العادة أن أرباب الثراء يقومون بسد حاجاتهم بالإضافة إلى الترفيه مثل الحياكة، وكان التعليم على مثل هذه الأعمال ضرورة بيتية، وكمالاً للمرأة، وتعد مُتعلِّمةُ المِهَنِ المذكورة أكثر إقبالاً على الزواج، وأما العوائلُ الفقيرة فإنَّها كانت تعمل للآخرين وتسترزق بها، ومن هنا كانت البيوت كلها معامل ومصانع إلى جانب الأعمال التي كانت تقام في الخانات والقيصريات من نسيج الأقمشة والغزل بشكل واسع وكبير، إلى جانب مصانع الحلوى والنجارة والحدادة وما إلى ذلك من الأعمال الثقيلة التي ليس مكانها البيوت، ومن الملفت أن العوائل هي التي كانت تهتم بصناعة الحلوى لحاجاتها، كذلك

تقوم بتجفيف مزروعات الصيف للشتاء، فالمونة (الذخيرة الشتوية) كانت أحد الأمور التي لا تنسى، سواء في المخللات أو في المعاجين والمربَّيات والعصائر وكل ما يمكن تخزينه، إلى جانب تربية الدواجن في البيوت.

الفقر والغنى

صحيح أن العالم اجتماعياً ينقسم إلى قسمين، فقراء وأغنياء، وصحيح ما جاء في المأثور: «ما رأيت نعمة موفورة إلا وبجانبها حق مضيَّع» فإن كربلاء لا تشذ عن غيرها، كان فيها الأغنياء كما كان فيها فقراء، ولكن لم يكن فيها متسوّلون، وإن وجدوا فمن خارج كربلاء دخلوا من وراء الحدود، حيث إن مدينة الحسين عليه السلام نشأت على السياحة الدينية بعد أن ضمت جدث إمام الإباء والأحرار، وهؤلاء عادة يظهرون في مواسم الزيارة، بل ربما يسافرون كالزائرين لكسب العيش عبر هذه الطريقة، وإذا ما شاهدنا في الأيام الأخيرة مَن يجوب فيها للتسول فَهُم بعضُ المتسوِّلين الذين بقوا في المدينة واستقروا فيها.

وأما الأغنياء والفقراء فهم على وئام حيث تسود بينهم المحبة والتعاون، وبشكل عام قلما شاهدته في بلد آخر حيث ما كنت، وفي الغالب لم أجد مَن ليس له عمل وإن كان بسيطاً، كما لم أجد مستأجراً إلا لفترة مؤقتة حيث في النهاية يمتلك بيتاً بكدّ يمينه أو بمساعدة الأغنياء، كما لم أجد مجتمعاً خاصاً بالفقراء وآخر للأغنياء، بل الكل يحضر أفراح الآخر وأتراحه، حسب سعة تلك المجالس وضيقها، وبالطبع فالأقربون أولى بالمعروف إذا لم يكن بوسع المرء أن يجعل الدعوة عامة.

العوائل والأسر

كانت كربلاء محاطةً بالبساتين وهي تلف العوائل والأُسر، وكانت بالطبع على ارتباط مع بقية العوائل وأفخاذ العشائر الأخرى التي كانت تسكن على أطراف كربلاء، وكانت لهذه الأُسر أعراف وتقاليد، وكان لكل منها شخصية كبيرة تُدير شؤونها فتَصغي إلى إرشاداتها، وكان التعاونُ بين الأُسر قائماً، وإذا ما تخللته بعض الشوائب كما قرأت عن هذه المدينة في سالف الزمان، فبفضل العلماء والعقلاء توحدوا، وصاروا على وئام ومحبة، وغالب الأهالي كان يعرف بعضهم البعض الآخر، وإذا ما عرَّف الإبنُ عن نفسه ذكر إسم أبيه أو خاله أو عمّه وهكذا حتى يعرفوه، فلا يوجد في البلد غريب إلاّ

مَن التجأ إليها لطلب العلم، أو لمجاورة السبط ﵇، وهؤلاء أُسر صغيرة قد تكبر وتصبح عائلة كبيرة وربما يُضاف إلى لقبها الخاص لقب الحائري أو الكربلائي أو غير ذلك، ليصبح كربلائياً إن استوطنها، ومع هذا كانوا يندمجون مع الأهالي، بل ربما تصاهروا ولم يعدوا غرباء، وهذه المعرفة كان لها أثر كبير في مسألة التعاون والحب والأمن والاقتصاد والعلاقات الحميمة مع دول الجوار والمدن المجاورة.

خطاب الاحترام

من الأمور التي لاحظتها ـ بل هي من مميزات هذه المدينة ـ أن لغة التخاطب كانت بلفظ الجمع، وذلك لمزيد من الاحترام، فمن الشاذ أن يخاطب أحدهم الآخر وبالأخص الأصغر للأكبر بضمير الفرد، وهذه اللهجة الخطابية كانت مجسدة ومتداولة، والتحدث بغيرها كان مستهجناً وغير مرغوب فيه، ولا يخفى أن هذا لا يشمل التحدث عن الغائب، فإذا ما خاطب أحدهم الآخر بالمواجهة قال: كيف حالكم، وأما إذا خاطب شخصاً سائلاً عن غائب قال: كيف حال فلان، وكيف يعيش، ولا يقول كيف يعيشون، بل يعد استخدام ضمير الجمع للغائب مستهجناً. ولا

يختلف هذا الأمر بالنسبة إلى الذَّكَر والأُنثى، سواء في ضمير المخاطب أو في ضمير الغائب.

ومن ناحية أخرى فإن خطاب الاحترام لم يكن محصوراً بالضمير بل باستخدام الألفاظ والمفردات، فإنها كانت تستخدم على سبيل المثال الوالد والوالدة بدل الأب والأُم، والمحروس والمحروسة بدل الإبن والبنت، والحرم والعائلة بدل الزوجة والمرأة، وهناك أمور أخرى لا مجال لبيانها في هذا الموجز.

الرجـال

اعتاد الرجال: ـ الكسبة منهم والتجار ـ على فتح محلاتهم صباحاً بعد طلوع الشمس إلى الزوال، ثم الصلاة في المساجد، ومن ثم الرجوع إلى البيت لتناول الطعام والنوم، ثم العودة للعمل عصراً إلى غروب الشمس عادة، وإقامة الصلوات، ثم الرجوع إلى البيت للعشاء والراحة والنوم، ومنهم مَن كان يبدأ يومه بزيارة المرقدين، وآخرون يذهبون للزيارة بعد الانتهاء من العمل، والغالب عليهم أنهم يستهلون أعمالهم بقراءة القرآن والدعاء ثم تنظيف واجهات محلاّتهم أو متاجرهم، وتتم الزيارات فيما بينهم أيام العطل والجُمع، وإذا ما تمت الزيارة في وسط الأسبوع فتكون في الليل، إلا إذا كانت هناك ضرورة فتتم بموعد مسبق.

ولكن المثقفين والشعراءَ والأدباءَ والأعيانَ وربما رجال الدينِ فكانوا يسهرون في الدواوين التي كانت منتشرة في أطراف الحرمين الشريفين، وأما في النهار، فمن كانت له وظيفة كان منشغلاً بها، ومَن كان من أصحاب العقارات والبساتين فهو مهتمٌّ بها كذلك، وأما العلماء فكانوا يُمضون جُل نهارهم صباحاً ومساءً في المدارس وحجرات الصحنين الشريفين، مُهتمِّين بالدرس والتدريس والمباحثة، وكانت فترة الليل تُقضى بالمطالعة والتحقيق، ولهم فرصة التواصل مع الآخرين أيام عطل الحوزة يومي الخميس والجمعة.

النسـاء

كان المفضل عندهن الزيارة وقت العصر، حيث كن في الصباح منشغلاتٍ بأعمال البيت، من التنظيف والطبخ والغسل، وفي العصر يجدْنَ فرصة لزيارة القريبات والصديقات، وكان الشيء المفضل عندهنَّ الحديث عن انجازاتهن من الخياطة والحياكة، وكثيراتٌ منهُنَّ كُنَّ يجلبن الحياكة معهن ويستمرنَ بالحياكة ويتلهَّينَ بالحديث والقصص، كما كن يفضلن احتساء الشاي مع الكعك الدهني المفضل عندهن.

وأما في الأعياد فيجتمعن على صنع الكليچة الكربلائية التي عادة ما تُصنع إمّا من حشوة التمر أو السُكر مع الجوز المغلف بالعجين، وفي المناسبات

يجتمعن على طبخ ما نذرن في هذه المناسبة أو تلك مثل ما يُطلق عليه «شِلّة زين العابدين» و«الزردة»، والحلوى وما إلى ذلك.

الأطفـال

كان الأطفال بشكل عام لا يجدون ملعباً يلعبون فيه لأن هذه المدينة بل أغلب المدن والمدارس آنذاك كانت خليّة من ساحات اللعب أو ملاعب خاصة بهم، فكانت الأزقة مسرحاً للعب الأطفال، حيث كانوا يمارسون في الأزقة بعض الألعاب البدائية، وكان اللعب في الأزقة مقتصراً على الدعبل والمَرْصَع والسيم والچرخ وكرة القدم بشكلها البدائي والمحيبس، وفي الأعياد يلعبون في الساحات، أعني الأماكن الخالية من الزرع والبيوت، وكانت لعبة المراجيح مفضلة عندهم، مع ركوب الدَّواب، وأخيراً أُضيف إليها لعبة الدولاب وأمور أخرى وكان الصحنان الشريفان متنفساً آخر لهم.

وأما البنات فكانت لعبتهن المفضلة هي التُكِّيّة والطمّيمة، ومجال لعبهن في البيوت.

وأما الكبار من الشباب ففي الأعياد كانوا يفضلون المحيبس، ولكن لم تكن مقبولة عند جميع طبقات المجتمع.

مقام الكبير

كان لكبار السن موقعٌ مميّزٌ، وكان يحدد بمن بلغ الخمسين من عمره أو ظهرت الشيبة في رأسه ولحيته، فكان لا يقدَّم عليه أحد، ولا يردّ له قول، ومن هنا فكان يُقصد في المهام ولحل الخلافات البينية وخُطب الزواج، فإذا ما تحدث في المصالحة أُخذ بقوله، ولا يرد أحد وساطته، وكانت بهذا الشكل تحل الخلافات وتقضى الحاجات، وكانت للشيبة البيضاء أثرها البالغ في النفوس، فكان صاحبُها محترماً في البيت وفي المجتمع، يسلّم عليه ويقدَّم في مواقع التقديم، ولا يخالف له أمرٌ بالطبع فيما شرّعه الله سبحانه وتعالى، وربما هذا لا يختص بهذه المدينة ولكن هذه الحالة كانت شائعة في هذه المدينة.

الترحُّـم

هناك ألفاظ خاصة كانت تستخدم في هذه المدينة تميزها بطريقة إلقائها وخصوصياتها في مواقع كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال قولهم «رحمله والديك» في مقام الشُكر، وهذه ربما تستخدم في مواقع مختلفة من المدن العراقية بل وغيرها إلا أنها بهذه الخصوصية كان الكربلائيون قد اختصوا بها، وربما عمُّمت في هذه الأيام، وهي صيغة جيدة للترحم على الوالدين، وهي كثيرة التداول بينهم بحيث لا تجد محاورة بين اثنين إلا وتكررت هذه المفردة كثيراً.

موقع الغريب

كان للغريب في هذه المدينة موقع خاص، بل كان يُقدّم على الأهالي، وهذه من مميِّزات هذا البلد، وربَّما عُدّت من مساوئه، بمعنى أن صاحب البلد قد يُعدُّ غريباً والغريب قريباً، فلا يسمع للقريب ويسمع للغريب أكثر مما يُسْمَعُ لأهلِ البلد، ولذلك كان ملجأ لكل مَن لا يجد موضعاً في مكان آخر لأنه يجد مَن يسمع له ويقدره، سواء كان عالماً أو طبيباً أو معلماً أو موظفاً أو غير ذلك، وكان القريب في كثير من الأحيان يعاني من هذه الميزة غير العادلة، إذ العدالة الاجتماعية تقتضي أن يُقدم الأعلم والأفضل والأقدر، بالإضافة إلى أن ابن البلد لا شك أنّه معروف بسيرته ونسبه، بينما الغريب مجهول الحال إلى أن تُعرف خصوصياته.

التعليـم

بشكل عام كان التعليم مقتصراً على أبناء العلماء والأعيان، وكان مهده الكتاتيب والملالي، حيث فالأولى اختصت بالصبيان والثانية بالصبايا، وكان التعليم مقتصراً على الكتابة والقراءة والحساب البسيط وقليل من التاريخ، ولكن الاهتمام كان قائماً بالنسبة إلى القرآن والأحكام الشرعية، وربما عند هذه المرحلة يتوقف التعليم بالنسبة إلى الكثير من العوائل، حيث لا يجدون مندوحة لذلك أو لم يجدوا ضرورة له، حيث يريد المتخرج منها أن يكون عاملاً أو صاحب محل يبيع الأقمشة أو الطعام أو ما شابه ذلك، وعليه أن يعمل في هذه الحقول ليعيش هو وعائلته، حيث كان الزواج

مبكراً، وليس هناك ما يمنع الحمل، بل الفكرة كانت معاكسة، حيث كانوا لا يفضلون منعه، ومن هنا كان على الرجل أن يستعد لفتح بيت يعيل زوجته وأولاده إن لم يكن مجبراً على أن يعيل والديه وأخواته وإخوانه في أسوأ الحالات لمرضٍ أو كبر أو فوت الراعي، وأما البنات فكن يتزوجن في أول محيضهن، وكان عليهن تعلم واجباتهن في بيت الوالدين كمقدمة لبيت الزوجية. وأما الأعيان والأثرياء والعلماء فكانوا يهتمون بأبنائهم، ومن هنا فإن أغلب موظفي الدولة والمحامين والأطباء وما إلى ذلك كانوا من أبناء الأعيان والأثرياء، وأما أبناء العلماء فهم يلتحقون بالحوزة ويتخرجون حسب مستوياتهم إلى مرجعيات أو كُتّاب أو خطباء ومبلّغين ومرشدين وأئمة جماعة، وهذا لا يعني الحصر بل الغالب كان كذلك.

الحـوزة

كانت الحوزة في كربلاء في أوائل نشأتي قوية، وفيها العديد من الأعلام والمراجع، ولاحظت بأن مجمل أمور الناس والأهالي كانت تُحل على يد العلماء، بالإضافة إلى مسألة التقليد،حيث كانت عقود البيع والشراء والزواج والطلاق والمحاكمات والمرافعات والمصالحات تجري في أروقتهم، بل كان العمران وحاجات الناس تُلبّى عن طريقهم، بل إن مطالبهم لدى الدولة وغيرها كانت تعطى من خلال مداخلاتهم، وكانوا أصحاب الأمر والنهي، وحتى أمور الترجمة والكتابة والأمور الاجتماعية والثقافية والسياسية تنجز من مكاتبهم والتي كانت بسيطة، وهي غرفة من بيوتهم خصصت لذلك،

وربما كان لهم معاونون من تلامذتهم أو أقربائهم، ولم يكن آنذاك هاتف بل كان الأمر مقتصراً على رسالة يكتبها المرجع أو العالم إلى هذا وذاك إن كان خارج المدينة، وتعطى للشخص ليوصلها بدوره إلى المسؤول فيُلبّي طلبه، وبمثل ذلك كانت أمورهم تحل بيُسرٍ، حيث كانت البساطة تلفّ بيوتهم، وكان اللقاء معهم سهلاً، والطلب منهم والاستجابة من قبلهم كذلك، وسرعة التلبية كانت لديهم مسؤولية شرعية، وليس هناك تعقيد ولا تسويف، فالمجرم يأخذ جزاءه وصاحب الحق يأخذ حقه، وربما لا تغيب الشمس إلا وانقضت حاجات الناس، ولكن كل شيء تغير، فتغيرت الأمور عامة رويداً رويداً، وحاولت الحكومات بإيعازات أجنبية فصل الناس عن العلماء من جهة، وتخلّي رجال العلم عن مهامهم، فأصبحت الحوزة بعدما كانت جامعة تُدرَّسُ فيها كل العلوم الدينية والعربية

والطبيعية والأحياء والفلك والطب وغيرها، أصبحت مقتصرة على الفقه والأصول وقواعد العربية، ولم يعد عالم الدين إلا مقتصراً على بيان الأحكام الشرعية إن سُئل منه ذلك، وعلى إقامة الصلاة إن وجد فرصة، وعلى التدريس إن وجد مَن يسعى إلى التعليم وطلب العلم، حيث امتنع الناس من إرسال أبنائهم إلى المدارس العلمية، بل أخذت المدارس الحديثة تستقطب الجيل الجديد، وبقيت كما لاحظنا ذلك على هذا الحال إلى قُبيل سنوات، ولكن بعد ثورة إيران أعادت المرجعية إلى مكانتها في العالم، وبعد سقوط النظام في العراق استعادت المرجعية في العراق جزءاً من مكانتها.

السياسة

الحديث عن السياسة ذو شجون وشؤون، ولكن الذي يمكن قوله أن السياسة بانحرافها عن واقعها الأصيل تدخلت في جميع الشؤون، فبعد ما كان الساسةُ وطنيِّين حيث تخرجوا من رحم الوطنيِّة، وكانت الأمور تعالج بكل شفافية إلا أنها أخذت ومنذ أن عرفت نفسي ووعيت ما يدور حولي تميلُ إلى الأسوأ فالأسوأ، حيث الاحتلال ترك ما يُختلف عليه ليدخل من خلاله إلى شؤون البلاد والعباد، وبالأخص بعدما اكتشفوا أن في البلاد ثرواتٍ طبيعيةً هائلةً، وتوقعوا أن يكون غد مُشرق، وكان الشعب على وعيٍ تامٍّ مُتمسِّك بمبادئه الإسلامية، وبمرجعيَّته الواعية، فبدؤوا بمسألة

التعليم والتوظيف والاتفاقات والمعاهدات للولوج إلى نسيج الأمة والمواطن، وقد تخلّفت المرجعية مع الأسف عن الحداثة التي كانت مطلوبة لأسباب غير خافية، حتى أصبحت أوضاع الداخل مرتبطة بالخارج، ويوماً بعد يوم لا يجد المرء مفراً من أن يعيش العالم كله، ويتدخل الجميع في شؤونه، امتنع أو لم يمتنع.

النشاط والضّمور

أمران قد يجتمعان في بيئة مُحافظِة مثل كربلاء، حيث إن النشاط بجميع أشكاله وألوانه كان فيهم فِطرياً، وهذا بفضل مجاورتهم لمرقد سبط الرسول الأعظم عليهما أفضل الصلاة وأزكى السلام، حيث إنهم جُبلوا من طينة التربة التي ضُمِّخت بالدم الزكي وبماء الفرات، فسرى ذلك في نسوغهم حتى أصبحت طبيعةً يصعب على المرء الغفلة عنها. ومن هنا كانت النشاطات الاجتماعية تُشاهد في كل أرجاء المدينة من شوارع وأزقّة ومدارس وحسينيات ودواوين ومحافل، وكانت كربلاء كخلية النحل التي تجد العمل فيها دؤوباً، ولكن هذا العمل الدؤوب والنشاط المتزايد لم تُرَ لهما ظواهر كثيرة ولم يُشهَدْ

بروزٌ إعلاميٌ، حيث الضّمور والخجل كانا من أبرز مميزات أهل هذه المدينة، خلافاً لبعض المدن المجاورة، ولعل الذي عاش في أكثر من مدينة وبالأخص في المدن المجاورة ثم انتقل إلى كربلاء أو بالعكس يشعر بهذا الفارق المميّز بينها وبين غيرها، فالحركة الأدبية والعلمية والسياسية كانت على قدمٍ وساق، إلا أن الضمور لم يجعل لها صوتاً، حيث إن الأهالي لم يأخذوا بحكمة القائل: «فازَ باللّذات مَن كان جسوراً».

الربيع والخريف

الأول يفضِّله الناس والثاني ليس بمثابة الأول، فالأول تتفتح فيه الزهور وتستنشق نفحاته، والثاني تتساقط فيه الأوراق وتتخلى الأشجار عن أوشحتها، فهما نقطتان متقابلتان، كما الصيف والشتاء، وحرية المرء في الربيع والخريف أكثر من غيرهما، والغالب أن الإنسان ميّال إلى الربيع لما فيه من النسيم العليل فيحمل معه البهجة والسرور بكل ما فيه من مباهج ولوحات الطبيعة الفتانة، ومن هنا تجد الناس يحتفلون بعيد الربيع، سواء كانوا عرباً أو فُرساً أو من قوميّاتٍ أخرى، سواء كان جزءاً من تقاليدهم أو لم يكن.

وكثير من الناس يستغلونه لقضاء حاجاتهم من

البناء والنقل والانتقال وربَّما السفر والزواج وما إلى ذلك، حيث أن فصل الشتاء تكثر فيه الأمطار ويشتدّ البرد، ومن المتعذّر على الإنسان القيام بمثل تلك الأعمال التي كان يسهل إنجازها في الخريف والربيع.

الصيف

فصل الصَّيف قائظٌ، وغالب الدُّور كان فيها سرداب أو أكثر، ومَن حُرم من نعمته كان يستخدم الغرفة الأرضية، وعادة يكون مستواها أقل مستوى من سطح ساحة الدار، وكانت آنذاك مفروشة بالطابوق المعروف بـ «الفَرْشي» فتكون أكثر برودة من الأنواع الأخرى، وفي الصيف حيث العمل أخفّ والمدارس والكتاتيب معطّلة، يفضِّلون السفر لأسبوع أو شهر إلى المدن المقدسة الأخرى وبالأخص مدينة سامراء التي هي أقلّ حَرّاً، أو يقومون بزيارة الأقارب في المدن الأخرى، وربما إلى خارج العراق كسوريا وإيران، ومنهم مَن كان يسافر إلى شمال العراق، باعتباره مصيف العراقيين

في الداخل، وربما قضوا بعض الأيام في البساتين، وكان النهر الحسيني هو المتنفس الوحيد للشباب بل للكبار أيضاً، حيث لم يكن في المدينة مَسْبَحٌ، فكان منذ الصَّباح الباكر إلى الغروب ـ بل وبُعيده وعلى طول النهر ـ مليئاً بالسابحين، وهذه النزهة لم يفوّتها أهالي كربلاء، ومَن لم يتمكن من اقتحام النهر كان يستخدم الأحواض والبرك التي كانت لا تخلو البيوت الكبيرة منها، فيستنقع فيها، وبالأخص الأعيان والعلماء.

الشّتاء

كانت الغرف العليّة هي المفضلة للعيش والنوم، بينما الغرف السفلى تستخدم في الربيع والخريف، وأما السرداب والسطح فيُستخْدمان في الصيف، بالإضافة إلى ساحة البيت التي كانت السهرات تقام فيها، وكانت للصيف ملابسه الخاصة وللشتاء كذلك، وأما الربيع والخريف فكانا يشتركان في ذلك، وكان الاختيار يقع على اللون ونوعية القماش كالصوف والقطن، سماكته وخفّته، ومن الملاحظ أن الصيف والشتاء كانت أكلاتهما مختلفة وذلك لسببين، الطبيعة من جهة والحاجة من جهة أخرى، حيث لم يكن في الشتاء الكثير من الخضار، وأما الصيف فكان يختص بخضار أخرى

تختلف عما عليه في الفصول الأخرى، حيث المطر والبرد والوحل وقصر النهار، فكان يستوجب أن تُطبخ اللپّة وسائر أنواع الحبوبيات المجففة، بينما في الصيف الباذنجان والبامية والشجر (الكوسا) بأنواعها وسائر الخضار، وفي الشتاء يحتاج الإنسان إلى الشوربة، وأمّا الصيفُ فبحاجة إلى البطيخ والفواكه (المركبات) وما يتناسب مع ما هو موجود في الطبيعة وما يتلاءمُ مع متطلبات الجسم.

تغيّرت البلاد

يُقال عن لسان حال النبي آدم عليه السلام بعد قتل قابيل لهابيل، من الوافر:

تـغـيّـرتِ الـبـلادُ ومَـن عـلـيـهَـا
فـوجْـهُ الأرضِ مُـغْـبَـرٌّ كَـئِـيـبُ

فإن صدقوا فهذا شأن الدنيا، فقد وجدت الأمر مختلفاً تماماً في مدينتي بعد أن عُدت إليها بعد نحو خمس وثلاثين سنة وذلك بسقوط النظام الذي غيّر وجه البلاد والعباد، فأصبح وجه العراق مغبرّاً كئيباً، ورأيت النفوس قد تغيّرت والمعالم قد تهدّمت، فخابت عند ذلك الآمال، وتناقضت الأقوال بالأعمال، ولكن الأمل بالله كبير، فهو نعم المولى ونعم النصير.

الخاتمة

لقد ولدت في هذه المدينة ونشأت فيها إلى أن اضطررتُ إلى الهجرة منها قهراً، وقد نقلت عنها ما يمكن الحديث عنه بإيجاز، حيث أوردت الكثير من الأحداث والذكريات في أرجوزة مطوَّلةٍ عن سيرتي باسم «مركب الألفين» والتي تحتوي على أكثر من ستة آلاف بيت، وفصّلتُ الحديث عن ذلك بتقرير منّي وإملاء الأخ الفاضل الدكتور وليد بن سعيد البياتي باسم «شاهد على العصر»، مضافاً إلى ما أوردته بالمناسبة في طيَّات دائرة المعارف الحسينية، إلى جانب مؤلفاتي الأخرى، هذا وقد خصصت باب «أضواء على مدينة الحسين» من دائرة المعارف الحسينية في أكثر من ثلاثين جزءاً عن كل

ما يرتبط بهذه المدينة، ولكن الذي أوردته هنا جاء على بيان الحالة العامة، وقد أردته أن يكون كذلك، وتجنَّبْتُ الأسماء والخصوصيِّات، وأرجو أن يكون بإيجازه وافياً للحالة الاجتماعية التي عشتها هناك نحو ربع قرن (**١٣٦٦ ـ ١٣٩١هـ**)، والله من وراء القصد.

الثلاثاء **مستشفى سانت ماري**

١/ ٣/ ٢٠١١م = ٢٥/ ٣/ ١٤٣٢هـ **لندن ـ المملكة المتحدة**

محمد صادق محمد الكرباسي

بين العتاب والحنين

قصيدتان، الأولى جاءت بعنوان «بلادي عزيزة» من بحر الطويل، والتي فيها عتاب، والثانية حنين إلى مسقط الرأس عندما عُدت إليه بعد **٣٥** عاماً، وهي بعنوان «العودة إلى الوطن» من بحر المثمن المستطيل، وأرى من المناسب أن أثبت هنا ما كنت قد نظمته سابقاً[(١)]:

(١)

١ ـ أرى الناس في حيصٍ وبيصِ فلا أدري

وإنْ كنْتُ في خلْدي محيطاً بما يَجْري

(١) لا يخفى أن القصيدتان موجودتين في ديوان زلّة الأقلام للمؤلف.

٢ ـ فمن عاتبٍ يخطو على مَنْهجٍ قَذْرٍ

ومِنْ ناقدٍ ينوي لإصْلاحِ ما يَسْري

٣ ـ بَني بَلْدَتي إمّا أخٌ أو أبٌ بهما أزري

أَشُدُّهُما مِنْ جيرتي صَفْوة العُمرِ

٤ ـ أيا جيرتي عندي عتابٌ كبيرٌ مِنْ

لَدُنْ كُلِّ مَنْ مِنكُمْ قريبٌ .. كفى هجري

٥ ـ غريباً أرى أعرافكم في غَريبٍ حيـ

ـث تَبْجيلُهُ فَرْضٌ لَدَيْكُمْ عَلى الْجَهْرِ

٦ ـ ولكنَّني مَهْما فَعَلْتُمْ أَرى نَفْسي

لأَرضي مديناً من نشوئي إلى قبري

٧ ـ وما لائمي في ذاك إلاَّ حريصٌ لا

يرى نقده الناىبي سوى نقطةٍ تُبري

٨ ـ دعوني وأهلي في حبورٍ ولا تقسوا

فأهلي وإن جاروا فعند البلا ظهري

٩ ـ بلادي عزيزٌ تُربها نشأتي فيها

وَفيٌّ لَها قَلبي حَنيناً مَدى الدَّهْرِ

١٠ ـ جواري لسبط المصطفى قد سقاني جر

عةً فجَّرَت في الرمل داليةَ النَّهْر

١١ ـ فأوفوا معي في الكيلِ والحلِّ عن صدْقٍ

وكونوا على نَهْجٍ مَعي وافِرِ الْخَيْرِ

١٢ ـ وإنْ أَحْرَجوني في حَياتي لَهُمْ رَدِّي
بنو جِلْدَتي إنّي صَبورٌ مَعَ الصَّبْرِ

١٣ ـ هُمُ القومُ قَوْمِي إنْ هُدُوا أوْ هُمُ ضلُّوا
يدي موثقي مُدَّتْ إليهمْ بلا جَزْرِ

١٤ ـ فإنْ مَزَّقوا ثَوْبي سديت لهم ثوباً
وَإِنْ قَطَّعوا رأسي سَأُبْدي لَهُمْ صَدْري

١٥ ـ وإنْ حَجَّبوا فجراً أضَأْتُ السَّما ليلاً
وَإِنْ غَيَّبوا الأسرارَ أبْدَيْتُهُمْ سِرّي

١٦ ـ بني أُمَّتي كفّوا عنادي على جَهْلٍ
وعودوا إلى العِلْمِ الَّذي شَعَّ كالْبَدْرِ

١٧ ـ بـنـي طـيـنـتـي أنـتـم مـلاذي أَرى دَوْمـاً
إلـيـكُـمْ إذا جـارَتْ وُحـوشٌ مِـنَ الْـقَـفْـرِ

١٨ ـ ووصـلـي لَـكُـمْ مَـهْـمـا صَـرَمْـتُـمْ لَـنـا كَـفّـاً
وَإِنْ أُدْمِـيَـتْ جُـرْحـاً عَـلـى مَـوقـدِ الْـجَـمْـر

١٩ ـ كـفـانـا شُـطـوطـاً فـي الـدُّجـى إِنّـنـا أَهْـلٌ
أَخٌ مِـنْ أَبٍ هـذا بِـهـذا عَـلـى الـعُـسْـرِ

٢٠ ـ أَراكُـمْ دِثـاراً لـي وَحِـصْـنـي إذا مـا جـ
ـدَّ لـي حـالِـكٌ يَـوْمـاً فـمـا نُـكْـرُكُـمْ يَـجْـري

(٢)

١ ـ إلى مثوى حُسَيْنٍ شهيداً بالعِراقِ
مَسيري بَعْدَ رَدْحٍ مَريرٍ بالفِراقِ

٢ ـ ثَلاثٌ مِنْ عُقودِ الصِّبا قَدْ أُحْرِقَتْ في
أتونِ الحِقْدِ وَالْغَدْرِ في ظِلِّ النِفاق

٣ ـ فَيالَيْتَ العُقُودَ التّي أَمْسَتْ لَظاها
بِقَلْبي شُعْلَةٌ عالَجَتْ فَكَّ الرِباقِ

٤ ـ فَمِنْ كَبْتٍ إلى فَرْضِ أَسْرٍ آلَ أَمْري
وَمِنْ غِلٍّ إلى غُلِّ أَيْدٍ بِالوِثاقِ

٥ ـ إلى الْموَلى شَكَوْتُ الْخنَى عَمّا تمادَتْ
طَواغيتٌ بِحالي وَأهْلي مِنْ حِقاقِ

٦ ـ تَـرَكْـتُ الأَمْـرِ لـلْـخـالـقِ الـبـاري حَـكـيـمـاً

وَصَـــمَّـــمْـــتُ ارتـــحـــالاً إلـــى بَـــدْرٍ دِهـــاقِ

٧ ـ لأَشْـكـيـهِ هـمـومـي وَأَقـضـي عِـنْـدهُ مـا

بَـقـي مِـنْ عُـمْـرِ عَـبْـدٍ جَـنـى بَـعْـدَ الإِبـاقِ

٨ ـ وَجَـدتْ الـنَّـفـسَ سـارتْ إلـى شَـيْءٍ رَفـيـعٍ

كـمـا الـتّـحـلْـيـقُ جَـواً بِـهـا مِـثْـلَ الـبُـراقِ

٩ ـ فَـحـيـنـاً أَمـتْـطَـي غـارِبـاً أَوْ شـارِقـاً نَـحْـ

ـوَ أَهــلْــي أَوْ رِفــاقــي كــأَنّــي فــي سِــبــاقِ

١٠ ـ أخـذْتُ الآنَ أُزجـي خـيـالاً فِـي بِـلادي

غــريــبــاً بــاحِــثــاً عَــنْ أَخٍ أَوْ عَــنْ رِفــاقِ

١١ ـ وَعَنْ دارٍ بِها كانَ مَأْوانا قَشيباً
زَواياها أَثارَتْ شُجُوني باخْتِناقِ

١٢ ـ فَلِي فيها خُطوبٌ وَقَدْ مرّتْ بِبالي
وَعَنْ رَهْطٍ سَلَوْنا زَماناً في زُقاقِ

١٣ ـ وَلَمْ أسْتَثْنِ بَحْثاً بقايا ذِكْرياتي
لَمَسْتُ الأَرْضَ رَمساً مُدِلاً للمُحاقِ

١٤ ـ سَأَلْتُ التُرْبَ مِنْ أيّ خَلْقِ الله كانتْ
أَجابَتْني : عَشيرٌ لَكُمْ دُونَ البَواقي

١٥ ـ أَلي خاطَبْتِ هذا لِتُوعي مَشعراً قَدْ
عَفاهُ الدّهْرُ يَوْماً لَدى خوْفِ اللَّحاقِ

١٦ ـ لَقَدْ هزّتْ كياني فَلَمْ أَسْمَعْ سوى أَنّـ
ـةَ الـشـكْـلـى وَربّـاتِ حِـجْـرٍ فِـي رَواقِ

١٧ ـ أَمـا حـانَ الأَوانُ إلــهـي أَنْ تُـلَـبّـي
نِـداءَ الـقَـلْـبِ مَعْ مُسـتـهـامٍ في اشـتـيـاقِ

١٨ ـ أَنـا دَوْمـاً لِـمـولايَ أَرْنُـو وَالـسُّـوَيـدا
جَـريـحٌ هـائِـمٌ إنّـنـي دامِـي الـمَـآقـي

١٩ ـ نَـهـاري حـالِـكٌ لَـو يَـئِـسْـنا مِـنْ رَجـاءٍ
هـيَ الآمـالُ والـرّوحُ فـي بَـثِّ الـسِّـمـاقِ

٢٠ ـ بِـذا تُـحْـيـى وَفـيـهِ عَـبَـرْنَـا حـالـكـاتٍ
بِــلا مَــيْــنٍ وَلِــكــنْ وَفــاءٌ لــلــصَّــداقِ

الفهرس